في السرد الحجاجي
مقاربة بلاغية حجاجية لمقال الامتيازات والأدب لأحمد حسن الزيات

د. سلطان دخيل الله حضرم العوفي

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

(أرسل إلى المجلة بتاريخ 20 / 7/ 2024م، وقبل للنشر بتاريخ 25 /9/ 2024م)

المستخلص:

تتجه هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الحجاج والسرد في مقال الامتيازات والأدب، لأحمد حسن الزيات الذي عبّر فيه عن دعوى مفادها الاعتزاز بالهوية، ورفض التبعية للغرب. وعلى هذا الأساس، فإن هذه الدراسة تحاول أن تكشف عن البعد الحجاجي المضمّن في البنية السردية لهذا المقال؛ وذلك للإجابة عن سؤال معرفي انطلقت منه هذه الدراسة، وهو كيف أسهم السرد الحجاجي في تأكيد دعوى الكاتب؟ وتعتمد هذه الدراسة على مقاربة بلاغية حجاجية مستمدة من نظرية الحجاج ومن معطيات اللسانيات التداولية ومفاهيم تحليل الخطاب، بقصد الكشف عن الوسائل الإقناعية والتقنيات الحجاجية التي استعملها الكاتب في تأكيد دعواه، سواء أكانت على مستوى اللوجوس أم على مستوى الباطوس أم على مستوى الأيتوس.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، السرد، الحجاج، حجاجية المقال، تأكيد الدعوى.

In the Argumentative Narration: An Argumentative Rhetorical Approach to the Article: "Privileges and Literature" (Al-Imtiyāzāt wa Al-Adab) by Ahmed Hassan Al-Zayat

Dr. Sultan Dakhelullah Hadram Al-Aoufi

Associate Professor of Rhetoric and Criticism in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Taibah University

(Sent to the journal on 20/7/2024, and accepted for publication on 25/9/2024)

Abstract

This study aims at revealing the relationship between argument and narrative. In the article "Privileges and Literature" (*Al-Imtiyāzāt wa Al-Adab*), by Ahmed Hassan Al-Zayat, in which he expressed a claim of pride in identity and rejection of subordination to the West. On this basis, this study attempts to reveal the argumentative dimension embedded in the narrative structure of this article, in order to answer a cognitive question from that forms the cornerstone of the study, which is: How did the argumentative narrative contribute to confirming the writer's claim? This study relies on a rhetorical argumentative approach derived from the theory of argumentation, data from pragmatic linguistics, and concepts of discourse analysis, with the aim of revealing the persuasive means and argumentative techniques that the writer used to confirm his claim, whether at the level of logos, the level of pathos, or the level of ethos.

Keywords: Rhetoric - narration - arguments - argumentation of the article - confirmation of the claim.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كتب أحمد حسن الزيات[1] –رحمه الله– مقالًا في مجلة الرسالة، أسماه "الامتيازات والأدب"، أكّد فيه عن قيمة الأدب العربي، وأهميته في حياة الناس، كما سرد فيه مراحل تطور الأدب العربي عبر التاريخ، وكيف انحدرت قيمته من القوة إلى الضعف، مبينا أسباب هذا الانحدار، ومستشهدًا في سرده بمظاهر هذا الضعف، من خلال تبعية الأدباء الناشئة للغرب، بما أسماه العبودية العقلية، كما أشار في هذا المقال إلى نتائج هذه التبعية على المجتمع المصري، مختتما مقالته بأهمية الرجوع إلى الطبيعة المصرية الملهمة في التعبير عن قضايا الإنسان المصري ووطنه المجيد وتاريخه العريق.

ومن يتأمل في النشاط السردي للمقالة يدرك بأنه يتضمن قضية جدلية دار عليها خلاف كبير بين العلماء والأدباء قديمًا وحديثًا، وكانت موضع عناية فائقة في كثير من الدراسات الأدبية ومازالت شائكة حتى يومنا الحاضر، وهذه القضية تتعلق بمحور واحد وهو التراث والتجديد، ولكنها تتشكل في مسميات متعددة كالقديم والجديد والأصالة والمعاصرة، ويوجه هذه الخلاف سياق فكري ثقافي ديني، يتمثل في الموقف من الغرب والموقف من عصر النهضة.

وقبل قراءة نص الامتيازات والأدب للكاتب أحمد حسن الزيات، قراءة بلاغية حجاجية، يجب اطّلاع المتلقي على جذور هذه القضية، وامتداد أصولها الفكرية العميقة من ذاكرة الحضارة المصرية؛ لصلتها العميقة بهذه القضية من جانب، ومن جانب آخر، إبراز السياق البلاغي الحجاجي لخطاب الزيات الموجه للقارئ المصري في هذه المقال.

وحتى يدرك المتلقي الجذور العميقة لقضية التراث والتجديد؛ ينبغي أن نقلب صفحات التاريخ حتى نعود إلى القرن التاسع الهجري، وتحديدًا في عام (857هـ) عندما سقطت القسطنطينية عاصمة المسيحية آنذاك على يد القائد المسلم محمد الفاتح، بعد مرور ما يقارب أربعة قرون من بدء الحملات الصليبية على المسلمين، وعلى إثر ذلك اهتز العالم الأوربي لهذه الواقعة هزة عنيفة ممزوجة بالخزي والخوف والغضب والحقد على المسلمين (شاكر، 2006).

ولما أدركت أوربا إخفاق معركة السلاح أمام المسلمين في ذلك الوقت، وحتى تدفع ذل القهر الذي تسبب فيه محمد الفاتح؛ بدأ الرهبان وتلاميذهم بالتخطيط لمعركة أخرى، تُعد أقسى من المعارك الحربية، وهي معركة العلم والمعرفة (شاكر، 2006).

ومن أجل كسب هذه المعركة، استعانت المسيحية بجهاز الاستشراق، لاختراق ديار المسلمين، وسرقة ثرواتهم العلمية، وهو ما حصل في مصر عندما أشار المستشرقون للمسيحية بوأد اليقظة في أرجائها؛ مما دفع نابليون إلى القدوم إلى مصر عام 1213هـ، للقضاء على تلك اليقظة المتمثلة في الدين واللغة وعلوم الحضارة المختلفة (شاكر، 2006). ومن أبرز معالم هذه اليقظة آنذاك الأزهر الشريف في القاهرة.

وقد ارتكزت حملة الاستشراق على مصر في جملة من الأهداف، منها: زيادة عدد المستشرقين؛ لمراقبة يقظة الإسلام، وتفريغ طلبة

(1) أحمد بن حسن الزيات أديب من كبار الكتاب المصريين، ولد بقرية كفر دميرة القديم، في طلخا، ودخل الأزهر قبل الثالثة عشرة، وفصل قبل إتمام دراسته. عمل في التدريس الأهلي. وتعلم مدة في مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة. ودرّس الأدب العربيّ في المدرسة الأميركية بالقاهرة، ودرّس في دار المعلمين العليا ببغداد، وعاد إلى القاهرة، فأصدر مجلة (الرسالة) سنة 1933م، وقد انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون. وكان قبل ذلك من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق. ونال جائزة الدولة التقديرية، وتوفي بالقاهرة. وحمل الى قريته فدفن فيها. من أشهر مؤلفاته تاريخ الأدب، دفاع عن البلاغة، وحي الرسالة، في أصول الأدب، في ضوء الرسالة، وقد وترجم عن الفرنسية آلام فرتر لجوته، روفائيل للامارتين. (الزركلي، 2002).

المدارس من ماضيها المتدفق بالعربية والإسلام، وإرسال البعثات من الشباب إلى أوربا، لتعلم اللغة والتقاليد الغربية، وبناء المدارس الجديدة المرتبطة بعلوم الثقافة الغربية، كمدرسة الألسن التي أنشأها رفاعة الطهطاوي (شاكر، 2006).

فكان من نتائج هذه الحملة انقسام الثقافة المصرية إلى شطرين: شطر ينتمي إلى الأزهر الذي أصبح معزولا ولا يدخله إلا أبناء الفقراء والمساكين، ويعتمد التدريس فيه على المناهج التراثية، وشطر ينتمي إلى المدارس الجديدة التي بدت تنمو وتتكاثر ولا يدخلها إلا أبناء الأغنياء والموسرين، ويعتمد التدريس في هذه المدارس على المناهج الحديثة، فأدّى هذا الانقسام بطبيعة الحال إلى انقسام الكتاب والأدباء حول قضايا خلفها الاستشراق: كالأصالة والمعاصرة والقديم والجديد والثقافة العالمية، وعصر النهضة، والموقف من الغرب (شاكر، 2006).

وبعد هذا العرض الموجز للأصول الفكرية لقضية التراث والتجديد في مصر، يمكن القول بأن فضاء النص يتضمن صوتين مختلفين: صوت الكاتب الذي يدعو إلى الاعتزاز بالهوية ورفض التبعية للغرب، والصوت الآخر: يدعو إلى التبعية للغرب والانتماء إليهم، وهذا الصوت أورده الكاتب على لسان فئة الناشئة من الأدباء، وقد عمد الزيات في سرد هذا المقال إلى تقنيات حجاجية للتأثير على المتلقي لتصديق دعواه، وهدم الصوت الآخر وتقويض أفكاره ونقض دعائمه.

ومما ينبغي تأكيده، أن الكاتب لا يرفض الجديد من الثقافة الغربية، التي تسهم في زيادة الرصيد المعرفي للإنسان، -يظهر هذا جليا في سيرة الزيات؛ حيث درس اللغة الفرنسية وترجم للعربية من مؤلفاتها- ولكنه يحذر من الاتصال بالغرب، حينما يؤدي إلى التنكر من القيم الإسلامية، والانسلاخ من الهوية العربية؛ ولهذا خص الناشئة من الأدباء في هذا المقال؛ لأن طموح الشباب عارم في تلقف الجديد من دون فحص وتمييز وتمحيص، وهم بذلك أدعى للتأثر بالتبعية العمياء للغرب، وهو ما أكده الكاتب من خلال سرد الشواهد الواقعية في المقال، على نحو ما سيتبين في التحليل.

وعلى هذا الأساس، وبعد إبراز السياق الحجاجي المتعلق بهذه القضية، فإن هذه الدراسة تتجه إلى الكشف عن العلاقة بين الحجاج والسرد في هذا المقال والذي عبّر فيه الزيات عن دعوى تتمثل في الاعتزاز بالهوية، ورفض التبعية للغرب، مع المحافظة على قيمته الأدبية التي تحققت من خلالها النزعة الجمالية والمتعة المؤثرة.

فالسرد ليس حكاية ممتعة فقط، تقوم على الوصف والتشويق والإثارة، ولكنه أيضا أداة للتواصل بين السارد والمتلقي، غايتها توجيه الاعتقاد والدعوة إلى العمل، في كثير من المواقف المختلفة والمقامات المتعددة (مشبال، 2017).

إن الحجاج في النص السردي يبنى على وسائل حجاجية عقلية من قبيل القيم المتفق عليها والحقائق الثابتة والأفكار النمطية والأقوال الشائعة أو من خلال استخدام الحجج المنطقية أو شبه المنطقية، وقد يبنى على وسائل تحيل إلى ذات المتكلم من خلال بناء نموذج مثالي، فيكون هذا النموذج أداة حجاجية تسهم في إقناع المتلقي، أو يبنى الحجاج السردي على إثارة أهواء المتلقي عبر مولدات حجاجية تثير انفعالات المتلقي وتحرك عواطفه ومشاعره (مشبال، 2019).

ولا شك بأن الدعوى وصور الخطيب والحجج تختلف في شكلها ومعناها وأثرها تبعًا لنمط الخطاب ونوعه اللذين تندرج فيهما فلا يمكن تحليل الحجاج في النصوص بمعزل عن هذا المبدأ التحليلي (مشبال، 2020).

وعند التأمل في خطاب الكاتب، يظهر بأنه من الخطابات المشورية، وهي: هي الخطابات التي تقوم على مبدأ المنفعة والفائدة التي يلجأ إليها الخطيب السياسي للجمهور الذي يخاطبه ويتوقع منه اتخاذ القرار. (مشبال، 2017)، وأراد منها مشاركة القارئ له وموافقته في دعواه، المتمثلة في الاعتزاز بالهوية ورفض التبعية للغرب.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة تحاول الكشف عن البعد الحجاجي المضمّن في البنية السردية لهذا المقال؛ وذلك للإجابة عن سؤال معرفي انطلقت منه هذه الدراسة، وهو كيف أسهم السرد الحجاجي في تأكيد دعوى الكاتب؟

وقد فرق محمد مشبال (2017) بين النصوص الحجاجية الصريحة والنصوص الحجاجية المضمرة، ذلك بأن الحجاج الصريح مرتبط بسياقات محددة، بينما الحجاج المضمر غير مرتبط بسياقات معلومة. ولما كان سرد الكاتب في النص المختار سردًا انطباعيًا وليس سردًا سجاليًا، فإن الحجاج في هذا المقال يُعتبر حجاجًا مضمرًا، تشكل من وحدات حجاجية كبرى على مستوى النص، ومن وحدات حجاجية صغرى على مستوى الجمل، تظافرت مع الوحدات الحجاجية الكبرى.

فليس المقصود بحجاجية النص السردي، البنية الكلية للنص، ولكن المقصود به أيضا البنية الخطابية اللغوية التي تشكلت بوساطتها الحبكة السردية المتمثلة في جملة من الصيغ اللغوية والصور الأسلوبية والتقنيات الحجاجية التي تمتزج بالسرد وتؤلف حجاجيته (مشبال، 2015).

وعلى هذا الأساس، سيقوم البحث بالكشف عن أنواع تلك الحجج وطبيعتها، ويرصد طاقتها الإقناعية في تأكيد دعوى الكاتب.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على مقاربة بلاغية حجاجية مستمدة من نظرية الحجاج ومن معطيات اللسانيات التداولية ومفاهيم تحليل الخطاب، بقصد الكشف عن الوسائل الإقناعية والتقنيات الحجاجية التي استعملها الكاتب في تأكيد دعواه، سواء أكانت على مستوى اللوجوس أم على مستوى الباطوس أم على مستوى الأيتوس، ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ لهذه المصطلحات طرائق في نطقها وكتابتها تبعا لنوعية الكاتب ونوعية الترجمة، مثل: اللوغوس، الباتوس الأيطوس.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أبرز الحجج العقلية التي استعملها الكاتب في السرد؟ وما أثرها في تأكيد الدعوى؟
2. هل تضمن السرد مثيرات لعواطف المتلقي؟ وما أثرها في حجاجية المقال؟
3. كيف أسهمت صورة الزيات في كسب ثقة المتلقي؟

وفي ضوء ما سبق اقتضت الدراسة أن تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة، على النحو الآتي:

- المبحث الأول: إستراتيجية الحجاج العقلي (اللوجوس).
- المبحث الثاني: إستراتيجية الحجاج بالعواطف (الباطوس).
- المبحث الثالث: إستراتيجية الحجاج بصورة الذات (الأيتوس).

التمهيد

نص مقالة الامتيازات والأدب: أحمد حسن الزيات (1962)، كالآتي:

الأدب عبير الروح، وشعاع النفس، ونضح العواطف. يتأثر حتما بما ينال أولئك من تطور الحياة، وتغير الناس، وتقلب الزمن؛ فهو يطيب أو يخبث، ويضطرم أو يخبو، ويمر أو يحلو، تبعًا لما يعرض للروح والنفس والعاطفة من أحوال الضعف أو القوة، والفساد أو الصلاح، والانحطاط أو السمو.

فالأدب العربي كان صادقًا حين فاض بالبطولة، وزخر بالحماسة، وجاش بالعزة، في عهوده الأولى أيام كان يمده العرب من قوتهم بالروح، ومن سلطانهم بالنبل، ومن حريتهم بالكرامة.

والأدب العربي كان صادقًا حين لج في الضراعة، وضج بالشكوى، وأنّ من الألم، وتحدث عن فسوق الخُلق المنحل، وإيمان القلب المستذَل، وضلال النفس المريضة في مذاهب القِحة، في عهوده الأخيرة أيام وهنت عزائم الملوك، ووهت دعائم الملك، وتخلت يد العرب عن زمام الدنيا، فوقعت الفوضى، وحدث الخلل، ولجأ الناس بعضهم إلى الله وراء شيوخ الطرق، وبعضهم إلى الشيطان وراء قطاع الطريق!

والأدب العربي الصادق اليوم في الإبانة عن هذا الشك المخامر في قدرتنا على التفكير الأصيل، واضطلاعنا بالأمر الجليل، واستقلالنا بتبعات الرأي وتكاليف الحياة. فان اعتقادنا الإيحائي المزمن بتفوق الأوربي وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة، ومن قلوبنا الايمان، ومن عقولنا الاصالة، ومن شعورنا السمو، وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه، ينقل فيما يقول عن لسانه، ويصدر فيما يعتقد عن قلبه.

فأديبنا يجهل اللغة العربية كل الجهل، ويعلم اللغة الأوربية كل العلم، لأنه إذا تكلم بها أو كتب فيها شعر بذلك الامتياز الذي يلازم أهلها في بلاد الشرق. وأديبنا يقرأ الأدب الأجنبي ويغفل الأدب العربي، لأن هذا أدب قوم كانوا يلبسون العمائم، ويأكلون بالأيدي، ويجلسون على الوسائد، ويقولون له نحن أجدادك! وذلك أدب قوم يلبسون البرانيط، ويأكلون بالشوْك، ويجلسون على الكراسي، ويقولون له نحن أسيادك.

وأديبنا يعمى عن مناظر بلده، ومحاسن طبيعته، ومفاخر قومه، ومآثر شرقه، ثم يفتح عينيه بكلتا يديه ليستشف من خلال السطور السود قناطر (السين) وشعاف (الألب) وخمائل (التيرول) لأن هذه ذكرها جوته ولامرتين وبيرن، وتلك إنما ذكرها البحتري والرضي وشوقي!

زارني ذات يوم شاعر من شعراء الشباب، وفي يده قصيدة يريد نشرها بالرسالة، وكان موضوع القصيدة كما يقول: تصوير منظر قروي في ريف مصر: مشرق الشمس في القرية أو مغربها لا أذكر. فلما نظرت إلى الصورة – وأنا قروي – أنكرت ما رَسم فيها من الخطوط، ووضع بها من الألوان، وحشد إليها من الطبيعة. فقلت له: يغلب على شعوري أنك ترجمت. فقال وهو يعقد من التيه عنقه: ثق أنها من وحي خاطري وفيض لساني. فقلت له: إذن ما هذه النواقيس التي ترن في الأبراج؟ أفي قريتكم كنيسة؟ فقال كلا، وإنما آثرت رنين الناقوس على أذان المؤذن، لأني أجد للأجراس والأبراج من الروعة والشاعرية ما لا أجده للمئذنة والمسجد. فألطفت للفتى في الاعتراض والاعتذار مخافة أن يرميني في سره بالجمود والتأخر!

كذلك قدم إليّ كاتب من ناشئة الكتاب قصة مصرية، سمى أشخاصها: جان، وألبير، ولورا، وهيلين. لأنه يجد هذه الأسماء في الحوار والحديث أرق وأعذب من علي، وإسماعيل، وسعاد، وفاطمة!

فالأدب المصري الحديث، كالمجتمع المصري الحديث، يقوم على موت الشخصية، وفناء الذات، ونسيان التاريخ، ونكران الأصل،

فهو يستلهم المطابع الأوربية، ويخضع قريحته للقرائح الأوربية، ويعقد لسانه بالألسن الموهوبة منها، فيحكى ما تقول في لعثمة نكراء من أثر العقدة، وهو لو وضع عن كاهله نير الامتياز، وفهم هذه الكلمة المخزية على المجاز، فأخذ عن طبعه، وترجم عن طبيعته، لفجأ الغرب بأدب قدسي الإلهام، سحري الأنغام، شرقي الروح، مصري الطابع، يحل أهله من أدب العالم ما أحل أدبُ الهند إقبالا وطاغور!

إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء، وأحلام النخيل، وابتسام الصحو، لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الإنجليزية من أمثال (الملاح التائه)، و (الزورق الحالم)، و (وراء الغمام)، فإن الفن لا يخضع خضوع العلم للعقل المشترك والوطن العام، وإنما يخضع قبل كل شيء لطبائع الإقليم، وخصائص البيئة، ومنازع الشخص، فإذا استنزل شعراؤنا الشبابُ على خواطرهم هذا الوحي الغريب، فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية التي ضربت على الآذان، وغلبت على الأذهان، وجعلتنا للأجانب في كل شيء تبعا!

فمتى يعلم المصري أن له مجدًا يجب أن يعود، ووطنًا ينبغي أن يسود، وصوتًا يحق أن يسمع، وأدبًا يصح أن يحتذى، وتاريخًا يليق أن ينشر، وحقًا على أرضه تؤيده الطبيعة ويقره القانون ولا ينكره عليه إلا جبنه وذله؟!. (1/123).

أولا: المحور الأول: إستراتيجية الحجاج العقلي (اللوجوس)

تقوم إستراتيجية الحجاج العقلي (اللوجوس) على تقنيات حجاجية عقلية، يستثمرها المتكلم، "تضفي قواعد الصحة المنطقية على الخطاب الحجاجي" (مشبال، 2017، ص75)؛ لإقناع المتلقي بدعوى معينة أو فكرة محددة، تسمح بتوجيه الاعتقاد والدعوة إلى العمل عبر سيرورات التأويل، وبناء على ذلك، يتجه هذا المحور إلى إبراز هذه التقنيات الحجاجية المنصهرة في بنية السرد.

ولأن الكاتب في هذه المقالة يسعى إلى تأكيد صحة دعواه أمام المتلقي؛ فقد هيمن الحجاج العقلي على خطابه، عبر تقنيات حجاجية استعملها الكاتب في سرد المقالة، ومن أبرز هذه التقنيات على مستوى الحجاج العقلي (اللوجوس)، ما يلي:

1- طريقة بناء النص (الوحدات الحجاجية الكبرى على مستوى النص)

يعتبر النص عالما فسيحًا من الموضوعات المتعددة والأحداث المتنوعة، فهو بناء تتشكل من خلاله الموضوعات على هيئة أجزاء ثابتة "بمعنى أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء تتابع فيها الجمل وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة؛ بحيث يتحقق المعنى من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى" (بحيري، 1997، ص192).

وعلى هذا الأساس، فإن بناء وحدات النص تخضع لروابط منطقية ومؤشرات حجاجية يتخذها المتكلم في ترتيب هذه الوحدات، تتمثل من خلالها مسالك المعنى وإستراتيجيات الخطاب. وعليه، فإن "طريقة التقديم تشكل في حد ذاتها حجة" (مشبال، 2017، ص108)؛ وذلك من أجل المساهمة في التأكيد على الدعوى والتسليم بها.

والمتأمل في مقال الزيات، يلحظ بأن الكاتب قام ببناء مقالته على مستوى التركيب والبناء إلى وحدات حجاجية كبرى، يمكن تقسيمها إلى الآتي:

2- قيمة الأدب

الأدب عبير الروح، وشعاع النفس، ونضح العواطف. يتأثر حتما بما ينال أولئك من تطور الحياة، وتغير الناس، وتقلب الزمن؛ فهو يطيب أو يخبث، ويضطرم أو يخبو، ويمر أو يحلو، تبعًا لما يعرض للروح والنفس والعاطفة من أحوال الضعف أو القوة، والفساد أو الصلاح، والانحطاط أو السمو (الزيات، 1962، 1/123).

بدأ الكاتب سرد مقالته بتعريف الأدب تعريفًا انطباعيًا، فحدد قيمته من خلال أثره الوجداني والنفسي على مشاعر الإنسان، وبين من خلال هذا التعريف أن معيار هذه القيمة غير ثابت، لملازمته لحالة الإنسان المتغيرة، وذلك تبعًا للمرحلة التي يعيش فيها،

وتبعًا للبيئة التي ينتمي إليها. ومن يتأمل في مفهوم الأدب عند الزيات، يدرك بأنه تتمثل فيه حجة التحديد الخطابي[1]، وهي من التقنيات الحجاجية التي يلجأ إليها المتكلم لخدمة أهدافه ومقاصده من الخطاب.

فقد سعى الزيات من خلال هذا التعريف إلى تكثيف المعنى، وتوحيد المفهوم، فكوّن التعريف قاعدة الانطلاق؛ لخدمة البعد الحجاجي المضمّن في المقال. فبعد تعريف الأدب بأنه عبير الروح، وشعاع النفس، ونضح العواطف، لجأ الزيات إلى إجراء مماثلة بين سمو الأدب وانحطاطه، تبعا لأحوال النفس والروح؛ ليوجه المتلقي إلى أن العناية بالأدب هي عناية الإنسان بلغته وثقافته ومبادئه وأخلاقه، ولهذا جعل مصير الأدب يشترك مع مصير الإنسان، ومنا هنا تبدأ عملية التأثير. وعلى هذا الأساس، تكون حجة التعريف من الدعائم المبكرة لتحقيق دعوى الكاتب في هذا المقال.

3 – المراحل التاريخية للأدب

يقول الزيات (1962):

فالأدب العربي كان صادقًا حين فاض بالبطولة، وزخر بالحماسة، وجاش بالعزة، في عهوده الأولى أيام كان يمده العرب من قوتهم بالروح، ومن سلطانهم بالنبل، ومن حريتهم بالكرامة، والأدب العربي كان صادقًا حين لج في الضراعة، وضج بالشكوى، وأنّ من الألم، وتحدث عن فسوق الخُلق المنحل، وإيمان القلب المستذَل، وضلال النفس المريضة في مذاهب القِحة، في عهوده الأخيرة أيام وهنت عزائم الملوك، ووهت دعائم الملك، وتخلت يد العرب عن زمام الدنيا، فوقعت الفوضى، وحدث الخلل، ولجأ الناس بعضهم إلى الله وراء شيوخ الطرق، وبعضهم إلى الشيطان وراء قطاع الطريق! (1/123).

بعد أن لفت الكاتب في الوحدة السابقة عناية المتلقي نحو أهمية الأدب في حياة الإنسان، أراد أن يبين المراحل التي مر بها الأدب، وأثر كل مرحلة من ذاكرة التاريخ، فقسم هذه المراحل إلى مرحلتين، الأولى: مرحلة قوة الأدب وتتميز بالصدق في البطولة والحماسة والعزة، وتميز أهلها بالقوة والنبل والكرامة والإحساس، والثانية: مرحلة ضعف الأدب، وتتميز بالضعف والفوضى والخلل واتباع طرائق الشيطان.

ويتبين من خلال سرد الكاتب لهذه الوحدة أنه استعمل حجة السلطة، من خلال الإشارة إلى الحقبة التاريخية للأدب العربي في مرحلة القوة، وهي بلا شك مرحلة متفق عليها بالقيمة الفنية الصادقة، والجودة التعبيرية السامية، وبناء على ذلك، لا يمكن معارضة هذه القيمة أو طمس معالمها من تاريخ الأدب العربي.

ومن هنا تستمد سلطة الحقبة التاريخية للأدب طاقتها الإقناعية[2]، فتسهم في التأثير على المتلقي من خلال سيرورات التأويل في ذهنه، بأهمية الأدب العربي وأثر قيمته في حياة الإنسان منذ العصور الأولى لتاريخ الأدب العربي، وهذا أدعى لقبول الدعوى والتأثير على المتلقي بالاعتزاز بالهوية العربية وتمجيد تراثها القديم.

4–أسباب الضعف

يقول الزيات (1962):

والأدب العربي الصادق اليوم في الإبانة عن هذا الشك المخامر في قدرتنا على التفكير الأصيل، واضطلاعنا بالأمر الجليل، واستقلالنا بتبعات الرأي وتكاليف الحياة. فإن اعتقادنا الإيحائي المزمن بتفوق الأوربي وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة، ومن قلوبنا الايمان، ومن عقولنا الأصالة، ومن شعورنا السمو، وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه، ينقل فيما يقول

(1) التحديد الخطابي: هو تعريف تعبيري ومجازي للمصطلح، وليس تحديدًا علميًا حقيقيًا (مشبال، 2021).

(2) لا تقتصر حجة السلطة على الشخصية فقط، فالسلطة تتشكل في الإجماع، والرأي والعلم والدين والعصر الذهبي أو فترة تاريخية عظيمة. (مشبال، 2021).

عن لسانه، ويصدر فيما يعتقد عن قلبه.

فأديبنا يجهل اللغة العربية كل الجهل، ويعلم اللغة الأوربية كل العلم، لأنه إذا تكلم بها أو كتب فيها شعر بذلك الامتياز الذي يلازم أهلها في بلاد الشرق. وأديبنا يقرأ الأدب الأجنبي ويغفل الأدب العربي، لأن هذا أدب قوم كانوا يلبسون العمائم، ويأكلون بالأيدي، ويجلسون على الوسائد، ويقولون له نحن أجدادك! وذلك أدب قوم يلبسون البرانيط، ويأكلون بالشوْك، ويجلسون على الكراسي، ويقولون له نحن أسيادك.

وأديبنا يعمى عن مناظر بلده، ومحاسن طبيعته، ومفاخر قومه، ومآثر شرقه، ثم يفتح عينيه بكلتا يديه ليستشف من خلال السطور السودّ قناطر (السين) وشعاف (الألب) وخمائل (التيرول) لأن هذه ذكرها جوته ولا مرتين وبيرن، وتلك إنما ذكرها البحتري والرضي وشوقي! (1/123).

سرد الكاتب في هذه الوحدة أسباب ضعف الأدب العربي وتدني قيمته الفنية، فتمثل في هذه الوحدة الحجاج بالأسباب، فذكر الأسباب يعتبر "وسيلة من وسائل الحجاج وإثبات الدعاوى أو رفضها" (مشبال، 2021، ص58)، وقد تنوعت هذه الأسباب التي أدت إلى ضعف الأدب العربي في نظر الكاتب، فمنها ما يتعلق بالشعور بالنقص وعدم تقدير الذات وتمجيد الأوربي والإعلاء من شأنه، ومنها ما يتعلق بالجهل باللغة العربية ورفض كل ما يتصل بها، وذلك على حساب المعرفة باللغة الأوربية ، ومنها الانبهار بالحضارة الغربية وطبيعتها الساحرة، وعدم الانتماء للوطن والاقتناع بمناظره الجميلة ومآثره الخالدة.

ويستمد الحجاج بالأسباب وظيفته الإقناعية من خلال استدراج المتلقي للاعتراف بوجود الأسباب؛ وذلك من أجل المساهمة في قبول الدعوى وتأييدها، ورغم تعدد الأسباب وتنوع مصادرها في هذه الوحدة إلا أن السرد الحجاجي ينسج عاملا مشتركا يجمع بين هذه الأسباب، وهو التبعية للغرب والانتماء إليهم.

5- الشاهد الواقعي

يقول الزيات (1962):

زارني ذات يوم شاعر من شعراء الشباب، وفي يده قصيدة يريد نشرها بالرسالة، وكان موضوع القصيدة كما يقول: تصوير منظر قروي في ريف مصر: مشرق الشمس في القرية أو مغربها لا أذكر. فلما نظرت إلى الصورة – وأنا قروي – أنكرت ما رَسم فيها من الخطوط، ووضع بها من الألوان، وحشد إليها من الطبيعة. فقلت له: يغلب على شعوري أنك ترجمت. فقال وهو يعقد من التيه عنقه: ثق أنها من وحي خاطري وفيض لساني. فقلت له: إذن ما هذه النواقيس التي ترن في الأبراج؟ أفي قريتكم كنيسة؟ فقال كلا، وإنما آثرت رنين الناقوس على أذان المؤذن، لأني أجد للأجراس والأبراج من الروعة والشاعرية ما لا أجده للمئذنة والمسجد. فألطفت للفتى في الاعتراض والاعتذار مخافة أن يرميني في سره بالجمود والتأخر!

كذلك قدم إليّ كاتب من ناشئة الكتاب قصة مصرية، سمى أشخاصها: جان، وألبير، ولورا، وهيلين. لأنه يجد هذه الأسماء في الحوار والحديث أرق وأعذب من علي، وإسماعيل، وسعاد، وفاطمة! (1/123).

بعد أن سرد الكاتب أسباب ضعف الأدب العربي، ساق هذين الخبرين، بأسلوب حكائي ممتع وجميل؛ ليبين انتماء الشباب إلى الأدب الأجنبي، واستلهام أفكاره ورموزه، وذلك من أجل تأكيد صدق دعواه.

ولما كان الكاتب هو راوي هذين الخبرين؛ فإن سلطتها الحجاجية تكمن في صحة وقوعها، وبحسب منطق جماعة بوريال، فإنه ينبغي تقويم أخبار البشر بالوقائع الماضية، حينما تكون متصلة بقرائنها وظروفها، وتميز الجماعة في هذه القرائن والظروف المصاحبة للخبر بنوعين، هما: الظروف المتعلقة بالخبر من جهة متنه، والظروف المتعلقة من جهة سنده (النقاري، 2013).

فمن ناحية المتن، فإن تأثير الحضارة الغربية على المجتمع المصري حصل بعد الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون سنة 1213م، من خلال حملات الاستشراق والتبشير بعصر النهضة الحديثة، وقد جاءت الأخبار متواترة في كثير من كتب التاريخ والأدب.

ومن ناحية السند، فإن الزيات هو راوي الخبرين، ويعد من الثقات لما يتميز به من كفاءة عقلية وعلمية، على نحو ما سيتبين في تحليل محور الحجاج بالأيتوس.

وعلى هذا الأساس، فاختيار السارد لخبر في سياق تواصلي، بغرض الاستدلال على دعوى معينة مرتبطة بهذا السياق، يعتبر حجاجا عقليا، وقد أسماه أرسطو مثالًا (مشبال، 2017)، وعدّه من "أنواع الحجج المشتركة بين أنواع الخطابة" (أرسطو طاليس، 1393، ص154).

فعندما تنصهر الأخبار في سياق تواصلي، بحجة التأثير على المتلقي، فإنها تمثل أدلة وشواهد، تثبت الدعوى وتؤكدها وتمنحها حضورًا وتضفي عليها متعة السرد (مشبال، 2015)، وبناء على ذلك، يعتبر "تقديم الوقائع والأفعال بوساطة الأخبار المروية أداة من أدوات الإقناع" (مشبال، 2015، ص49). ومن هذا المنطلق، فقد أسهمت رواية الكاتب لهذين الخبرين في تأكيد دعواه المتمثلة في الاعتزاز بالهوية وترك التبعية للغرب.

6- النتائج

يقول الزيات (1962):

فالأدب المصري الحديث، كالمجتمع المصري الحديث، يقوم على موت الشخصية، وفناء الذات، ونسيان التاريخ، ونكران الأصل، فهو يستلهم المطابع الأوربية، ويخضع قريحته للقرائح الأوربية، ويعقد لسانه بالألسن الموهوبة منها، فيحكى ما تقول في لعثمة نكراء من أثر العقدة، وهو لو وضع عن كاهله نير الامتياز، وفهم هذه الكلمة المخزية على المجاز، فأخذ عن طبعه، وترجم عن طبيعته، لفجأ الغرب بأدب قدسي الإلهام، سحري الأنغام، شرقي الروح، مصري الطابع، يحل أهله من أدب العالم ما أحل أدبُ الهند إقبالًا وطاغور! (1/123).

بيّن الكاتب في هذه الوحدة نتائج فساد الحياة الأدبية في مصر، فتمثل في أسلوبها طابع الحجاج بالنتائج، وقد اعتمد على الحجة النفعية، وهي حجة تقوم "على تقييم حدث ما بناء على القيمة الإيجابية أو السلبية التي تحوزها النتيجة المترتبة عليها" (مشبال، 2017، ص159). وعلى هذا الأساس، سرد الكاتب مجموعة من النتائج السيئة الناجمة عن التبعية للغرب والانتماء إليهم، وتتمثل في موت الشخصية، وفناء الذات، ونسيان التاريخ، ونكران الأصل.

ولا شك بأن هذه النتائج السلبية مترتبة على عدم الاعتزاز بالهوية، والتنكر للتراث والعروبة، وبناء على ذلك، فإن إبراز هذه الأضرار للمتلقي، يُعد صورة من صور الحجة النفعية حتى يحذر المتلقي من خطر التبعية للغرب.

ومن مظاهر الحجة النفعية في هذه الوحدة، النتائج الإيجابية التي تؤول للاعتزاز بالهوية، وتتمثل في تعبير الأديب عن الطبيعة المصرية التي يعيش بين أحضانها. فتكون ثمرة هذا العمل المبدع، مفاجأة الغرب بأدب قدسي الإلهام، ذا طابع سحري الأنغام، شرقي الروح مصري الهوى.

وكلا النتائج سواء السلبية أو الإيجابية المتناسلة من الحجة النفعية في هذه الوحدة، تسعى إلى تأكيد العمل على الاعتزاز بالهوية ورفض التبعية للغرب.

وقد دعم الزيات الحجة النفعية في هذه الوحدة بحجة المثال التاريخي (ويستمد المثال التاريخي طاقته الحجاجية من عدة أمور: منها: الإجماع على وقوع الحدث في الزمن الماضي، ومن المعلوم بأن الإجماع لا يمكن دحضه أو مغالطته. ومنها: أن سلطة المثال

التاريخي تكمن في ارتباطه بالسياق التواصلي الوارد فيه. (مشبال، 2017)، وحجة القدوة؛ لتعزيز موقفه أمام المتلقي بالتأكيد على صدق دعواه، حينما أشار إلى شخصيتين بارزتين في أدب الهند، هما: الشاعر محمد إقبال وطاغور، اللذان كان لهما أثر بالغ – من خلال أعمالهما الأدبية المتميزة – في المحافظة على تاريخ الحضارة الهندية العريقة والوصول بالأدب الهندي إلى مصاف الآداب العالمية.

فشيوع أعمال الشاعرين: محمد إقبال وطاغور، وتواتر قيمتها الفنية على ألسنة الأدباء والمثقفين على مستوى العالم، يكسبها طابعا حجاجيا مضمرا، يدعو المتلقي المصري إلى ضرورة الاحتذاء بهما؛ للنهوض بالأدب المصري وتخليد قيمته الفنية مع المحافظة على الموروث الديني والاجتماعي في البيئة المصرية.

7– الوظيفة التداولية المصرح بها

يقول الزيات (1962):

إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء، وأحلام النخيل، وابتسام الصحو، لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الإنجليزية من أمثال (الملاح التائه)، و (الزورق الحالم)، و (وراء الغمام)، فان الفن لا يخضع خضوع العلم للعقل المشترك والوطن العام، وإنما يخضع قبل كل شيء لطبائع الاقليم، وخصائص البيئة، ومنازع الشخص، فإذا استنزل شعراؤنا الشبابُ على خواطرهم هذا الوحي الغريب، فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية التي ضربت على الآذان، وغلبت على الأذهان، وجعلتنا للأجانب في كل شيء تبعا!.

فمتى يعلم المصري أن له مجدًا يجب أن يعود، ووطنًا ينبغي أن يسود، وصوتًا يحق أن يسمع، وأدبًا يصح أن يحتذى، وتاريخًا يليق أن ينشر، وحقًا على أرضه تؤيده الطبيعة ويقره القانون ولا ينكره عليه إلا جبنه وذله؟!(1/123).

في هذه الوحدة ظهرت الوظيفة التداولية للدعوى على سطح النص بعدما كانت مضمرة في الوحدات السابقة، فقد حثّ الزيات الأديب المصري على استلهام الطبيعة المصرية المستوحاة من الواقع؛ لتجسيد القيمة الوطنية من خلال الأدب الصادق والتاريخ المجيد لهذه الطبيعة الساحرة والحضارة الآسرة.

وبعد استعراض الوحدات الحجاجية الكبرى على مستوى النص، يتجلى أثر السرد في بناء المقال بناء حجاجيًا؛ ذلك بأن السرد في الخطاب الإقناعي ليس سوى تقنية من تقنيات الحجاج (مشبال، 2017).

8– حجة الفصل بين المفاهيم.

كشف السرد في مقال الامتيازات والأدب إلى إجراء الكاتب لتقابل ضمني بين ثنائية الأدب العربي والأدب الغربي، وذلك من أجل تمكين الدعوى في نفس المتلقي، ولضمان استمراريتها في النسيج الكامل للمقال، وذلك من خلال حجة الفصل بين المفاهيم الذي "يقوم على شق المفهوم الموحد في الذهن إلى نصفين، أحدهما أعلى وأكثر قيمة من الآخر" (مشبال، 2021، ص84). ولأهمية هذه الحجة؛ فإن المتكلم يلجأ إليها في المقامات التي تستدعي تعددا في الآراء؛ لإنتاج الأحكام والقرارات (مشبال، 2021).

ولقد استعان الزيات بعدد من المفاهيم المضمرة التي سعى من خلالها إلى الفصل بين الأدب العربي والأدب الغربي، فأسهم السرد الحجاجي في إبرازها والكشف عن مضامينها، عبر دلالة الاقتضاء، وهو "ظاهرة لها علاقة بتكوين النص، وفهم أجزائه المكونة للعملية التواصلية التي تتم بين الكلام المنطوق والمسكوت عنه" (كروم، 2010، 2/143). ومن هذا المنطلق، يمكن حصر هذه المفاهيم، على النحو الآتي:

المفهوم الأول: الأصيل والدخيل:

وقد تمثلت حجة الفصل بين الأصيل والدخيل في سرد الكاتب من خلال عدة أمور، هي:

النشأة والتاريخ: يصور الزيات الأدب العربي في سرده للمقال، بأنه أصيل نابع من تراث الأمة ولغتها الخالدة وتاريخها المجيد الحافل بالبطولات والفتوحات الإسلامية، بخلاف الأدب الغربي فهو دخيل مهاجر من بيئة غربية لا ينتمي إلى الثقافة العربية ولا الحضارة الإسلامية، وليس له تاريخ مشرف في البطولات والانتصارات.

ومنها: العادات والتقاليد، وتتمثل في قوله: "وأديبنا يقرأ الأدب الأجنبي ويغفل الأدب العربي؛ لأن هذا أدب قوم يلبسون العمائم ويأكلون بالأيدي ويجلسون على الوسائد، ويقولون له نحن أجدادك، وذاك أدب قوم يلبسون البرانيط ويأكلون بالشوك، ويجلسون على الكراسي ويقولون له نحن أسيادك" (الزيات، 1962، 1/123).

ومنها: الأمكنة والشخصيات: وتتمثل في قوله: "وأديبنا يعمى عن مناظر بلده، ومحاسن طبيعته، ومفاخر قومه، ومآثر شرقه، ثم يفتح عينيه بكلتا يديه ليستشف من خلال السطور السود قناطر (السين)، وشعاف الألب وخمائل (التيرول)؛ لأن هذه ذكرها جوته ولا مرتين وبيرن، وتلك إنما ذكرها البحتري والرضي وشوقي" (الزيات، 1962، 1/123). ويقول في موضع آخر: "كذلك قدم إليّ كاتب من ناشئة الكتاب قصة مصرية، سمّى أشخاصها: جان، وألبيرا، ولورا، وهيلين، لأنه يجد هذه الأسماء في الحوار والحديث أرق وأعذب من علي، وإسماعيل، وسعاد، وفاطمة" (الزيات، 1962، 1/123).

وتتجسد الطاقة الإقناعية لحجة الفصل بين الأصيل والدخيل، بالقيمة التي يحملها الأصيل في النفوس، باعتبار أنه مقبول على مستوى الضمير الجماعي بخلاف الدخيل فهو غير متفق عليه؛ فمظاهره تتسم بطابع الغرابة؛ لأنها غير مألوفة على المجتمع؛ سواء على مستوى العادات أم التقاليد أم الأسماء، وعلى هذا الأساس، تكون قيمة الدخيل أدنى منزلة من قيمة الأصيل، النابع من تراث الأمة التليد وعاداتها وتقاليدها الأصيلة.

المفهوم الثاني: الحقيقة والخيال:

وتتمثل في قول الزيات (1962): "إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء، وأحلام النخيل، وابتسام الصحو، لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الإنجليزية من أمثال (الملاح التائه)، و(الزورق الحالم)، و(وراء الغمام)" (1/123).

يستند السارد في العبارة السابقة إلى حجة الفصل بين الطبيعة المصرية والطبيعة الإنجليزية، باعتبار أن الطبيعة المصرية تحكي الحقيقة الواقعية التي عاش الشاعر المصري بين أحضانها، ونشأ بين جنباتها (الصحراء – النخيل) بخلاف الطبيعة الإنجليزية المعتمدة على الخيال، ويتمثل ذلك في النماذج التي اختارها الكاتب: (الملاح التائه – الزورق الحالم – وراء الغمام).

ويستشف الباحث من ذلك بأن الكاتب يريد القول بأن الحقيقة ثابتة والخيال زائف، كما أن مفهوم الحقيقية يمثل الحضور، ومفهوم الخيال يمثل الغياب، وبذلك تكون الحقيقة أولى وأعلى منزلة من الخيال. وعلى هذا الأساس، يجب التمسك بالطبيعة المصرية والمحافظة عليها؛ لأنها من ركائز الهوية المصرية ورمز لحضارتها العريقة. ولكي يكون أدب الشاعر مقبولا لدى القارئ المصري ينبغي أن يستلهم عناصر هذه الطبيعة الواقعية.

المفهوم الثالث: الصغير والكبير:

أشار الزيات إلى تبعية صغار السن للأدب الغربي من خلال الشاهدين الذين ساقهما في سرد المقال، وهذا موضع حجاجي من مواضع حجة الفصل بين الأدب العربي والأدب الغربي من خلال أثر الاتباع، فذكرُ الكاتب لتبعية الناشئة للأدب الغربي، يستدعي قيمة الأدب العربي في نفوس الكبار الذين يدركون أهميته في تراث العربية وتاريخها المجيد. ومن هذا المنطلق، يسعى الكاتب لتوجيه اعتقاد المتلقي بأن أتباع الأدب الغربي من الشباب الذين يغلب عليهم الاندفاع والحماس من غير وعي وتفكير حتى يحيله إلى قيمة الأدب العربي.

المفهوم الرابع: الجسد والروح

ضمن مواضع حجة الفصل بين الأدب العربي والأدب الغربي، كشف السرد الحجاجي في مقال الامتيازات والأدب عن الفصل بين الجسد والروح –بطريقة ضمنية – لأنصار الأدب الغربي، فلقد بيّن الكاتب بأن هؤلاء الأدباء كبرت أجسادهم وسط أحضان الطبيعة المصرية ، ولكن أرواحهم تعلقت بالطبيعة الغربية، فاستلهمت المطابع الأوربية، وخضعت ملكاتهم للقرائح الغربية، وهذا الفصل بين الجسد والروح لأولئك الأدباء، يعزز من تأكيد دعوى الكاتب؛ لأنه يشعر المتلقي بعدم أهمية نتاجهم الأدبي، في حين يستدعي في ذهن المتلقي قيمة الأدب الأصيل المعبر عن الهوية الوطنية والمشاعر الإنسانية، وهو ما أشار إليه الكاتب في قوله: "فإن الفن لا يخضع خضوع العلم للعقل المشترك والوطن العام، وإنما يخضع قبل كل شيء لطبائع الإقليم، وخصائص البيئة، ومنازع الشخص" (الزيات، 1962، 1/123).

وبناء على ما سبق، فقد تجلى الحجاج باللوجوس في سرد الكاتب للمقال من خلال حجة الفصل بين المفاهيم، ومن طريقة بناء النص على مستوى الوحدات الحجاجية الكبرى، وما تضمنته هذه الوحدات من حجج صغرى منصهرة في بنية السرد، مما أسهم في ترسيخ دعوى الكاتب المتمثلة في الاعتزاز بالهوية ورفض التبعية للغرب.

وإذا كانت إستراتيجية اللوجوس تتمثل فيها ضوابط المعرفة الاستدلالية لتضفي قواعد الصحة المنطقية على الخطاب الحجاجي، فإن نجاحه لا يتوقف بالضرورة على هذه القواعد وحدها، بل لابد أن يحظى هذا الخطاب بالثقة والمصداقية، حتى يكون مقبولا من المتلقي؛ وهذه المصداقية وهذا القبول يحددان الإستراتيجيتين الحجاجيتين الأخيرتين؛ لحجاجية الخطاب، وهما: الإستراتيجية العاطفية (الباطوس)، والإستراتيجية الأخلاقية (الأيتوس) (مشبال، 2017)، وهو ما سيقوم البحث بالكشف عنهما في المحورين التاليين.

المحور الثاني: إستراتيجية الحجاج بالعواطف (الباطوس)

لما كان الحجاج العقلي يقف بالخطاب الحجاجي عند حدود التأثير في الرأي وإصدار الأحكام، فإن التحكم في الإرادة والتوجيه في الاعتقاد، يقتضيان تجاوز العقل واستثمار الوجدان والعواطف (مشبال، 2017)؛ للمساهمة في عملية التأثير على المتلقي.

وعلى هذا الأساس، يتناول هذا المحور دراسة التأثير العاطفي النابع من الوظيفة الحجاجية؛ وذلك من أجل إبراز العلامات التي ولدت المشاعر وحركت الأهواء في مقال الامتيازات والأدب، فأسهمت في تعزيز موقف الكاتب وتأكيد دعواه.

وبناء على ذلك، يمكن دراسة التأثير العاطفي على المتلقي في مقال الامتيازات والأدب، من خلال معيارين، هما:

المعيار الأول: مواضع تشكيل الأهواء.

يعتبر الناقد الفرنسي كريستان بلانتان أحد منظري الحجاج المعاصر من خلال مفهوم المواضع الحاملة للأهواء أو المحاور البانية للموقف المثير للعاطفة، أي أن المتكلم يمكنه أن يثير أهواء معينة دون أن يشير إليها في الظاهر (مشبال، 2017).

وتتمحور نظريته حول مجموعة من الأسئلة، فتشكل الإجابة عنها مبادئ وقواعد تحكم في إنتاج الأهواء والحجج العاطفية، وهي وسائل مستفادة من حقول متعددة، وتتمثل فيما يلي: تقويم الحدث، ماذا؟ طبيعة الحدث وسببه، من؟ طبيعة الشخص، مثل ماذا؟، أين ومتى، كم؟ لمبدأ الكثافة؟ المسافة؟ العواقب، المعايير، الضبط (مشبال، 2017).

فهذه المواضع هي بمنزلة الحجج التي تولد الأهواء وتبررها، وتأويل خطاب الأهواء الحجاجي يعني استخلاص هذه المواضع بوصفها حججا تسوغ الأهواء خطابيًا (مشبال، 2017).

ومع تنوع الأفكار في سرد المقال، فإن معظمها يشير إلى قيمة سلبية، فمن هذه الأفكار: انحدار مستوى الأدب وقيمته الفنية، "في عهوده الأخيرة أيام وهنت عزائم الملوك ووهت دعائم الملك، وتخلت العرب عن زمام الدنيا، فوقعت الفوضى، خصوصا وأنه

يعلم قيمة الأدب الصادق في عهوده الأولى" حينما فاض بالبطولة وزخر بالحماسة وجاش بالعزة" (الزيات، 1962، 1/123). وهذا الانحدار في قيمة الأدب يثير مشاعر الحسرة والألم لدى المتلقي على ما آل إليه حال الأدب العربي.

ومنها: الجهل باللغة العربية، في قوله: "فأديبنا يجهل اللغة العربية"(الزيات، 1962، 1/123). وفيه قياس مضمر، وهو أن الجهل باللغة العربية هو جهل بالقرآن الكريم وعدم تدبر آياته وأحكامه وشرائعه، مما يسهم في تأجيج مشاعر الألم والحسرة في نفس المتلقي على حال أولئك الأدباء.

ومنها: عدم الاعتزاز بالهوية الوطنية من قبل الشباب، ويتمثل في قوله: "وأديبنا يعمى عن مناظر بلده ومحاسن طبيعته، ومفاخر قومه"، ويتمثل كذلك في الشاهدين التي أوردها الكاتب في سرده، فممّا يشعر بالحسرة والأسى أن الشباب الذين هم مستقبل الأمة، وعماد نهضتها وحضارتها، وخط دفاعها الأول، قد طغت عليهم التبعية والعبودية العقلية للحضارة الغربية.

ولو كانت هذه التبعية لهؤلاء الشباب وهم يعيشون في وسط العالم الغربي، لربما كانت مقبولة لدى المتلقي بحجة الانبهار بمظاهر الحياة الغربية، ولكن ما يثير عاطفة الغضب ويؤجج مشاعر السخط، أن هؤلاء الشباب يعيشون في مصر ويشربون من نيلها ويأكلون من خيراتها، ويتوقون إلى الحضارة الغربية.

كما يشير الجمع في قول الزيات (1962): "فإذا استنزل شعراؤنا الشباب على خواطرهم هذا الوحي الغريب" (1/123) على موضع من مواضع الأهواء، وهو كثرة أتباع الأدب الغربي من الشباب، فيثير ذلك مشاعر الأسى والحسرة وممّا يضاعف مشاعر الحسرة ويزيدها ألما، استحضار هؤلاء الشباب في أدبهم علامات ترمز إلى الديانة المسيحية كالنواقيس والأبراج دون المئذنة والمسجد.

ومن المواضع المثيرة للأهواء، إجراء الكاتب المماثلة بين الأدب المصري والأدب الهندي، فقد بيّن حال الأدب المصري وما آل إليه بسبب أتباعه حتى وصل إلى مرحلة الانسلاخ من الهوية والتنكر للتراث، في حين أن أتباع الأدب الهندي أسهموا في نشره والوصول به إلى مراتب العالمية، وهذا من شأنه أن يثير مشاعر السخط والغضب لدى القارئ المصري.

المعيار الثاني: لغة الكاتب وتشكيل الأهواء.

تميزت لغة الزيات في سرد المقال بالكلمة الصادقة والعبارة الجميلة، كذلك تميز أسلوبه في بعض عباراته بالسخرية والطرافة والتندر من كابوس التبعية، وعلى الرغم من هيمنة الوظيفة الجمالية في السرد، فقد استطاع الكاتب أن ينقل إحساسه المؤثر إلى المتلقي، وذلك من خلال مستويات اللغة: معجما وتركيبا وصورة، مما أسهم في إثارة عواطف المتلقي وتحريك مشاعره، لقبول الدعوى والعمل بها.

فعلى مستوى المعجم، فقد اختار الزيات في سرده للمقال كلمات أسهمت من خلال مقتضاها المعجمي[1] في إثارة العواطف وتحريك المشاعر، فمن هذه الكلمات:

كلمة "سلب" في قوله: "فإن اعتقادنا الإيحائي المزمن بتفوق الأوربي وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة"، فكلمة سلب تحيل إلى معنى السطو والنهب بالقوة، مما يدل على الضعف والهوان، وهذا يدعو إلى إثارة مشاعر السخط والغضب لدى المتلقي، ومما يزيد في تأجيج هذه المشاعر أن هذا الاعتقاد نتيجة تأثيرات نفسية على المدى البعيد، كما وصفه الكاتب.

ومنها كلمة "آثر" في قول الكاتب على لسان الشاعر الشاب: "فقال: كلا، وإنما آثرت رنين الناقوس على آذان المؤذن"، فكلمة آثر تحيل إلى معنى الاختيار والرغبة، جاء في المقاييس: أن الهمزة والثاء والراء أصل يدل على "تقديم الشيء" (ابن فارس، 1979، 1/53). فممّا يثير مشاعر الأسى والحزن لدى المتلقي، تعلق قلب هذا الشاب بالكنيسة دون المسجد، مما جعله يشيد بأجزائها بفخر وإعجاب.

(1) تتعلق دلالة المقتضى المعجمي بالكلمة المنطوقة في السياق، وذلك لما تتميز به الكلمة المنطوقة من قوة تتمثل في الوضوح والإبانة، وتتجسد قوة الكلمة المنطوقة في مقتضاها المعجمي و"الذي يشكل محتواه، فيما نراه ملفوظا ضمنيا يقبع تحت المحتوى المنطوق"، (صوله، 2007، ص90).

ومنها كلمة العبودية العقلية: في قوله: "فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية"، ذلك بأن كلمة العبودية تحيل إلى معنى التذلل والخضوع والخنوع والتسليم للأوامر من دون اعتراض، وهذا يسهم في إثارة مشاعر السخط والغضب لدى المتلقي من الحال الذي وصل إليه هؤلاء الأتباع.

وعلى مستوى التركيب، فقد استثمر الكاتب بعض الوجوه الأسلوبية في سرد المقال، فأسهمت في إثارة العواطف وتحريك المشاعر، فـ"وظيفة وجوه الأسلوب في الخطابات الإقناعية، نقل السامعين إلى حالة من المتعة واللذة؛ لتحفيزهم وتهيئة نفوسهم لقبول الدعوى من دون اعتراض أو نقد" (مشبال، 2020، ص ص130–129).

ومن أبرز الوجوه الأسلوبية التي استعملها الكاتب بشكل لافت في السرد، أسلوب السجع، ومع هيمنة الوظيفة الجمالية للسجع، فإن له تأثيرا فعّالا في النفوس، وذلك من خلال لفت عنايتها وجذب انتباهها، مما يسهم في تمكين الدعوى وترسيخها في ذهن المتلقي، فـ" بعض طرق التعبير يمكنها أن تنتج أثرًا جماليًا مرتبطًا بالتناغم والإيقاع وصفات شكلية أخرى، والتي يمكنها أن تكون ذات تأثير حجاجي بوساطة خلق الإعجاب والسرور والراحة والإثارة" (مشبال، 2017، ص ص311–310).

ومن الأمثلة على ذلك، قول الكاتب (1962): "في قدرتنا على التفكير الأصيل واضطلاعنا بالأمر الجليل"، وقوله: "لأن هذا أدب قوم يلبسون العمائم ويأكلون بالأيدي ويجلسون على الوسائد، ويقولون له نحن أجدادك، وذاك أدب قوم يلبسون البرانيط ويأكلون بالشوك، ويجلسون على الكراسي ويقولون له نحن أسيادك"، وقوله: "وهو لو وضع عن كاهله نير الامتياز، وفهم هذه الكلمة المخزية على المجاز، فأخذ عن طبعه، وترجم عن طبيعته، لفجأ الغرب بأدب قدسي الإلهام سحري الأنغام" ، وقوله: "فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية التي ضربت على الآذان، وغلبت على الأذهان"، وقوله: " فمتى يعلم المصري أن له مجدا يجب أن يعود، ووطنا ينبغي أن يسود". (1/123).

وعلى مستوى الصورة، فقد حشد الكاتب العديد من الصور البيانية، فكان لها أثر بارز في تحريك الأهواء وإثارة المشاعر؛ ذلك بأن فعل السرد يحتاج إلى التخفي في ثوب الاستعارة والتشبيه والكناية وكل الصور التي يمكن أن تعطل فعل العقل، وتسير بآليات الإقناع في اتجاه استنفار الطاقات الانفعالية (بنكراد، 2008)؛ لتسهم في قبول دعوى الكاتب، فـ"الخطيب أو المتكلم يلجأ إلى الصور لإثارة مشاعر المتلقي والاستحواذ عليه بخطابه" (مشبال، 2017)، ص323).

ويمكن الإشارة إلى الصورة البيانية حسب ورودها في سرد المقال، وبيان مدى أثرها على المتلقي، من خلال الجدول الآتي:

الصورة البيانية	الوظيفة الحجاجية للصورة
"الأدب عبير الروح، وشعاع النفس، ونضح العواطف... فهو يطيب أو يخبث، ويضطرم أو يخبو، ويمر ويحلو" (الزيات، 1962، 1/123).	الاستهلال (لموقع الصورة في الخطاب قيمة حجاجية كما ذكر الدكتور محمد مشبال (2017)، في قوله: "تتركز الصور في المواقع الإستراتيجية في الاستهلال الذي يتوخى منه الخطيب الاستحواذ على المتلقي" (ص323) بهذا الحشد من الصور في مطلع المقال، أسهم في استدراج عناية المتلقي وجذب انتباهه، فاستحوذت عليه مشاعر الإحساس بقيمة الأدب وأهميته في الحياة، وعلى هذا الأساس، تآزرت حجة التعريف مع هذا الحشد من الصور في تمكين هذا الشعور في نفس المتلقي منذ الوهلة الأولى.
"والأدب العربي كان صادقا حين لج في الضراعة، وضج بالشكوى، وأنّ من الألم وتحدث عن فسوق الخلق ..." (الزيات، 1962، 1/123).	تكشف الصور المجازية في هذا المقطع السردي عن قيمة الأدب العربي في عهوده الأولى، فالتعبير المجازي "لا يروم مجرد الإخبار عن واقعة أو صفة، بل غرضه إسناد قيمة للموضوع، وإحداث تغيير في السامع" (مشبال، 2017، ص317)، وهذا الأمر يدعو إلى إثارة مشاعر الأسى والحزن لدى المتلقي من فقدان هذه القيمة.
"وتخلت يد العرب عن زمام الدنيا"(الزيات، 1962، 1/123).	تحرك الصورة المجازية في هذه العبارة مشاعر الأسى والحزن على حال العرب وما وصل بهم الحال إلى فرقة وانقسامات أثرت على قيمة الأدب العربي.

الصورة البيانية	الوظيفة الحجاجية للصورة
"وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه"(الزيات، 1962، 1/123).	تتجسد وظيفة التشبيه الإقناعية في قدرتها على التأثير في المتلقي، وذلك باعتبار أن التشبيه صورة لا تنحصر وظيفتها في دائرة القول الممتع الجميل وإنما القصد منه إحداث تغيير في موقف المخاطب بحمله على الإذعان والتسليم، وإظهار أثره في الفكر والسلوك وجعله مهيئًا لإنجاز ما يطلب منه في اللحظة المناسبة (البهلول 2011). وعلى هذا الأساس، تسهم هذه الصورة التشبيهية في إثارة مشاعر السخط والغضب لدى المتلقي بسبب تبعية الأدباء للغرب من دون وعي أو تفكير في نتائج هذه التبعية.
"وهو يعقد من التيه عنقه"(الزيات، 1962، 1/123).	تثير الكناية في هذا العبارة مشاعر الحزن والأسف على حال هذا الشاب الذي أوغل في تبعية الغرب.
"فالأدب المصري الحديث كالمجتمع المصري الحديث يقوم على موت الشخصية"(الزيات، 1962، 1/123).	تثير الصورة في هذه العبارة مشاعر الأسى والحزن على حال المجتمع المصري من خلال أثر هذه التبعية التي تغلغلت في نسيج المجتمع المصري.

المحور الثالث: إستراتيجية الحجاج بالأيتوس.

إن الخطاب الإقناعي لا يؤثر في المتلقي بالحجج العقلية أو بتحريك أهوائه فقط، ولكنه يؤثر أيضا بتقديمه لذات المتكلم في صورة قابلة للإيحاء والثقة (مشبال، 2017). فـ "لما كان كل خطاب حجاجي يروم التأثير، وكان كل خطاب يقدم صورة عن الذات، فإن صورة الذات تصبح شكلا من أشكال الإقناع والتأثير" (مشبال، 2017، ص176). فالسرد الحجاجي يوجه اعتقاد المتلقي، بأن صورة الذات الواردة في الخطاب تعتبر نموذجا إنسانيا ينبغي الاقتداء بها.

وبناء على ذلك، تتجسد الطاقة الحجاجية للأيتوس عند أرسطو في ثلاثة مظاهر تمنح الثقة للمتكلم، وهي: اللب، والفضيلة والبر (مشبال، 2017). ولتحديد هذه المظاهر وضبط معاييرها، في تشكيل صورة الذات الحجاجية، يمكن القول بأن مظهر اللب يشير إلى الكفاءة العقلية والعلمية للذات المتكلمة، بينما مظهر الفضيلة يشير إلى أصالة الذات وتمسكها بالعادات والتقاليد واحترام المبادئ والمواثيق، بينما يلمح من خلال مظهر البر تعاطف الذات ومحبتها وإحسانها للآخرين.

وعلى هذا الأساس، يتناول هذا المحور دراسة تأثير الذات في مقال الامتيازات والأدب، وبعبارة أخرى، رصد التقنيات الحجاجية لسلطة الزيات التي منحته ثقة المتلقي، وكان لها الأثر البالغ في توجيه اعتقاد المتلقي ودعوته إلى تصديق الدعوى وقبول حجتها، وذلك من خلال المظاهر السابقة لدى أرسطو.

أولا: الكفاية العلمية (اللب)

كشف السرد في مقال الامتيازات والأدب عن كفاءة الزيات العقلية والعلمية، وقد برزت هذه الكفاءة في سرده للمقال من خلال عدة أمور، منها ما يتعلق باللغة: كحسن النظم وجودة التأليف وتسلل الأفكار وقوة الحجج، ومنها ما يتعلق بثقافة الزيات التاريخية، كسرده لمراحل الأدب التاريخية، ومنها ثقافته الدينية، كالاقتباس من القرآن الكريم، ويتمثل في قوله: "وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه" (الزيات، 1962، 1/123). مقتبس من قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76]، ومنها ثقافته الأدبية العربية، وتتمثل في أسماء الشعراء الذين أشار إليهم: البحتري والرضي وشوقي، ومنها ثقافته الأدبية الغربية، وتتمثل في أسماء الأماكن التي ذكرها: قناطر السين، شعاف الألب، خمائل التيرول، كذلك أسماء الأدباء الغربيين الذين أشار إليهم، جوته، لا مرتين، بيرن، إقبال، طاغور.

كما بيّن السرد سلطة الزيات الحجاجية المتمثلة في قيمته الاجتماعية، وذلك من خلال إشارته إلى رئاسة مجلة الرسالة، ويتجلى ذلك في قوله: "زارني ذات يوم شاعر من شعراء الشباب، وفي يده قصيدة يريد نشرها في الرسالة" (الزيات، 1962، 1/123).

ثانيا: الفضيلة

لقد تجلى مظهر الفضيلة عند الزيات في ذلك الشخص المحب للقيم النبيلة، والفضائل الجليلة، ويتمثل ذلك في قوله: "والأدب الصادق حين لج في الضراعة، وضج بالشكوى، وأنّ من الألم، وتحدث عن فسوق الخلق المنحل، وإيمان القلب المستذل، وضلال النفس المريضة في مذاهب القحة". (الزيات، 1962، 1/123).

كما برزت شخصية الزيات في النسيج السردي للمقال في صورة الشخص الأصيل المتمسك بالتراث والأمين على مستقبل اللغة العربية من خلال المحافظة على هويتها التاريخية وقيمتها المعرفية، على الرغم من اطلاعه الواسع على الثقافة الغربية، كما قدّم ذاته من خلال الاعتزاز بالعادات والتقاليد وعدم التنكر لها، ويتمثل في قوله: "وأنا قروي".

وتتجلى صورة الزيات المخلصة في الدعوة إلى محبة الوطن والفخر به والانتماء إليه، ويتمثل في قوله: "فمتى يعلم المصري أن له مجدا يجب أن يعود، ووطنا ينبغي أن يسود، وصوتا يحق أن يسمع، وأدبا يصح أن يحتذى، وتاريخا يليق أن ينشر، وحقا على أرضه تؤيده الطبيعة ويقره القانون، ولا ينكره عليه إلا جبنه وذله"(الزيات، 1962، 1/123).

ثالثا: البر

لما كان البر يتعلق بالمشاعر الإنسانية تجاه الآخرين، فإن السرد أظهر إنسانية الزيات عبر النسيج الكامل للمقال، فهو صاحب حس مرهف يشعر بالناس والحياة، ويستدل على ذلك بمقدمته الاستهلالية للمقال، " الأدب عبير الروح، وشعاع النفس، ونضح العواطف، يتأثر حتما بما ينال أولئك من تطور الحياة وتغير الناس..." (الزيات، 1962، 1/123).

كما أبرز السرد صورة الزيات المحبة للسلام والمتسامحة مع غير المسلمين، وتتجلى هذه الصورة من خلال الاعتراف بالأدب الغربي وأثره في الثقافة العربية من غير تعصب ديني أو تطرف فكري، وهذا يدل على صفة التسامح التي يتحلى بها الزيات.

ويظهر الحوار مع الناشئة جانب الرفق واللين وأدب الاختلاف في شخصية الزيات، ويتجلى ذلك في قوله: "فألطفت للفتى في الاعتراض والاعتذار مخافة أن يرميني في سره بالجمود والتأخر" (الزيات، 1962، 1/123).

وبناء على هذه المظاهر المتحققة في بلاغة الأيتوس الحجاجية، فإن الزيات استطاع أن يكسب تأييد المتلقي بكفاءة، وأن يحوز على ثقته بجدارة، فتمثلت فيه الحجة بالقدوة؛ وذلك بتمسكه بهذه المبادئ، وممارستها في كل شؤونه الأدبية والفكرية والنفسية، وهذا بلا شك يسهم في توجيه اعتقاد المتلقي ودعوته إلى تصديق الدعوى وقبولها.

الخاتمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الاعتزاز بالهوية العربية من مقومات الحضارة الإسلامية، ودليل على الوعي بقيمة ثوابتها الراسخة، ومبادئها الأصيلة. ولا شك بأن الأدب العربي من الثوابت الراسخة في تدوين معالم هذه الحضارة وترسيخ مفاهيمها، فلذلك يعد الأدب مؤشرا من مؤشرات تقدم الأمم وتطورها على مر العصور.

وعلى هذا الأساس، تناولت هذه الدراسة العلاقة بين الحجاج والسرد؛ في مقال الامتيازات والأدب، لأحمد حسن الزيات، وقد حاولت الدراسة أن تكشف عن البعد الحجاجي المضمّن في البنية السردية لهذا المقال؛ وذلك للإجابة عن سؤال معرفي انطلقت منه هذه الدراسة، وهو كيف أسهم السرد الحجاجي في تأكيد دعوى الكاتب؟

فلقد تضمّن فضاء النص صوتين مختلفين: صوت الكاتب الذي يدعو إلى الاعتزاز بالهوية ورفض التبعية للغرب، والصوت الآخر: يدعو إلى التبعية للغرب والانتماء إليهم، وهذا الصوت أورده الكاتب على لسان فئة الناشئة من الأدباء، وقد عمد الزيات في سرد هذا المقال إلى تقنيات حجاجية للتأثير على المتلقي لتصديق دعواه، وهدم الصوت الآخر وتقويض أفكاره ونقض دعائمه.

وفي ضوء دراستي لهذا الموضوع، توصلت إلى نتائج أجملها فيما يلي:

أولًا: إن إستراتيجيات الخطاب الإقناعي، المتمثلة في الحجاج العقلي (اللوجوس)، والحجاج بالعاطفة (الباطوس)، والحجاج بصورة المتكلم (الأيتوس)، منصهرة في بنية السرد ومتداخلة في أجزائه ومكوناته، وقد هيمن الحجاج العقلي في خطاب الزيات في مقال الامتيازات والأدب.

ثانيًا: كشف السرد عن الحجج العقلية التي استعملها الزيات فتمثلت في: حجة التحديد الخطابي، حجة السلطة، والحجاج بالأسباب، وحجة الخبر، والحجاج بالنتائج، وحجة المثال التاريخي، وحجة القدوة.

ثالثًا: كشف الحجاج السردي عن حجة الفصل بين المفاهيم بين الأدب العربي والأدب الغربي، وذلك من خلال عدة مفاهيم استعملها الزيات، وهي: الأصيل والدخيل، الحقيقة والخيال، الصغير والكبير، الجسد والروح.

رابعًا: رغم أن المقال خلا من التأثير العاطفي إلا أن السرد الحجاجي كشف عن مواضع إثارة الأهواء ومولدات العواطف عبر لغة الزيات الموحية، ونظرية المواضع لدى كريستيان بلانتان.

خامسًا: أظهر الحجاج بالأيتوس ثقافة الزيات الموسوعية وكفاءته العقلية وأخلاقه الفاضلة ومشاعره الإنسانية الصادقة، وهي سلطة حجاجية عابرة للزمان والمكان على مستوى الضمير الجماعي في كل الحضارات.

سادسًا: تشكلت الوظيفة التداولية في مقال الزيات في نمطين مختلفين: بدأها الكاتب بالنمط المضمر المتمثل في قيمة الأدب ومراحله التاريخية، وأسباب الضعف، والشاهد الواقعي للتبعية ونتائج هذه التبعية، ثم النمط الصريح المتمثل في توجيه الخطاب للقارئ المصري بدءًا من قوله: "إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر... "، فهذا الترتيب كان له أثر بالغ في استجابة المتلقي لتصديق الدعوى التي أطلقها الكاتب في هذا المقال.

سابعًا: استطاع الزيات بما يمتلكه من مقومات حجاجية وكفاءة سردية أن يجعل دعواه تتسرب إلى وجدان القارئ عبر سيرورات التأويل في ذهنه، وهذا أدعى لقبول الدعوى والتسليم بها.

ثامنًا: ارتكز الزيات في مقالته على مبادئ كبرى مهمة في حياة الإنسان: نفسية، تاريخية، لغوية، اجتماعية، ثقافية، حضارية، وطنية، فأسهمت مع الحجج الصغرى في تمكين الدعوى وترسيخها في ذهن المتلقي.

قائمة المراجع:

أرسطو طاليس. (1393). *فن الخطابة*. ترجمة عبد الرحمن بدوي. بغداد: دار الشؤون الثقافية آفاق عربية.

بحيري، سعيد. (1997). *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*. (ط1). القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

بنكراد، سعيد. (2008). *السرد الروائي وتجربة المعنى*. (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

البهلول، عبد الله. (2011). *الوصايا الأدبية الى القرن الرابع هجريا مقاربة أسلوبية حجاجية*. (ط1). تونس: دار محمد علي للنشر.

الزيات، أحمد حسن. (1962). وحي الرسالة؛ فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

شاكر، محمود محمد. (2006). *رسالة في الطريق إلى ثقافتنا*. (ط2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

صوله، عبد الله. (2007). *الحجاج في القرآن*. (ط2). بيروت: دار الفارابي.

ابن فارس، أحمد. (1979). *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.

كروم، أحمد. (2010). *أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب، كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته*، الجزء الأول. (ط1). عمان: عالم الكتب الحديث.

الزركلي، خير الدين محمود. (2002). *الأعلام*. (ط15). بيروت: دار العلم للملايين.

مشبال، محمد. (2015). *خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ؛ مقاربة بلاغية حجاجية*. (ط1). عمّان: كنوز المعرفة.

مشبال، محمد. (2017). *في بلاغة الحجاج؛ نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات*. عمّان: كنوز المعرفة.

مشبال، محمد. (2019). *الرواية والبلاغة؛ نحو مقاربة بلاغية موسعة للرواية العربية*. (ط1). الدوحة: دار كتارا.

مشبال، محمد. (2020). *عن بدايات الخطاب البلاغي العربي الحديث؛ نحو بلاغة موسعة*. (ط1). عمّان: كنوز المعرفة.

مشبال، محمد. (2021). *محاضرات في البلاغة الجديدة*. (ط1). بيروت: الرافدين.

مشبال، محمد، والطريطر، جليلة. (2023). *تحرير المرأة في عصر النهضة من بلاغة الخطاب إلى تحليل الأنساق الثقافية*. (ط1). القاهرة: دار العين للنشر.

النقاري، حمّو. (2013). *في منطق بوريال*. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

Arabic references:

Arisṭū ṭālys. (1393). Fann al-khaṭābah. tarjamat ʻAbd al-Raḥmān Badawī. Baghdād: Dār al-Shu'ūn al-Thaqāfīyah Āfāq ʻArabīyah.

Buḥayrī, Saʻīd. (1997). ʻilm Lughat al-naṣṣ al-mafāhīm wa-al-ittijāhāt. (Ṭ1). al-Qāhirah: al-Sharikah al-Miṣrīyah al-ʻĀlamīyah lil-Nashr.

Bingarād, Saʻīd. (2008). al-sard al-riwā'ī wa-tajribat al-maʻná. (Ṭ1). al-Dār al-Bayḍā': al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī.

al-Bahlūl, ʻAbd Allāh. (2011). al-Waṣāyā al-adabīyah ilá al-qarn al-rābiʻ Hijrīyan muqārabah uslūbīyah ḥijājīyah. (Ṭ1). Tūnis: Dār Muḥammad ʻAlī lil-Nashr.

al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan. (1962). waḥy al-Risālah; fuṣūl fī al-adab wa-al-naqd wa-al-siyāsah wa-al-ijtimāʻ. al-Qāhirah: Maktabat Nahḍat Miṣr.

Shākir, Maḥmūd Muḥammad. (2006). Risālat fī al-ṭarīq ilá Thaqāfatunā. (ṭ2). al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī.

Ṣwlh, ʻAbd Allāh. (2007). al-Ḥajjāj fī al-Qur'ān. (ṭ2). Bayrūt: Dār al-Fārābī.
Ibn Fāris, Aḥmad. (1979). Maqāyīs al-lughah. taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. Bayrūt: Dār al-Fikr.
Karrūm, Aḥmad. (2010). adwār al-iqtiḍā' wa-aghrāḍuh al-ḥijājīyah fī binā' al-khiṭāb, Kitāb al-Ḥajjāj wa-mafhūmihi wa-majālātuh, al-juz' al-Awwal. (Ṭ1). ʻAmmān: ʻĀlam al-Kutub al-ḥadīth.
al-Ziriklī, Khayr al-Dīn Maḥmūd. (2002). al-Aʻlām. (ṭ15). Bayrūt: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn.
Mashbāl, Muḥammad. (2015). Khaṭṭāb al-akhlāq wa-al-huwīyah fī Rasā'il al-Jāḥiẓ; muqārabah balāghīyah ḥijājīyah. (Ṭ1). ʻAmmān: Kunūz al-Maʻrifah.
Mashbāl, Muḥammad. (2017). fī Balāghat al-Ḥajjāj; Naḥwa muqārabah balāghīyah ḥijājīyah li-taḥlīl al-khiṭābāt. ʻAmmān: Kunūz al-Maʻrifah.
Mashbāl, Muḥammad. (2019). al-riwāyah wa-al-balāghah; Naḥwa muqārabah balāghīyah muwassaʻah lil-riwāyah al-ʻArabīyah. (Ṭ1). al-Dawḥah: Dār ktārā.
Mashbāl, Muḥammad. (2020). ʻan Bidāyāt al-khiṭāb al-balāghī al-ʻArabī al-ḥadīth; Naḥwa Balāghat muwassaʻah. (Ṭ1). ʻAmmān: Kunūz al-Maʻrifah.
Mashbāl, Muḥammad. (2021). Muḥāḍarāt fī al-balāghah al-Jadīdah. (Ṭ1). Bayrūt: al-Rāfidayn.
Mashbāl, Muḥammad, wāltṛyṭr, Jalīlah. (2023). taḥrīr al-mar'ah fī ʻaṣr al-Nahḍah min Balāghat al-khiṭāb ilá taḥlīl al-ansāq al-Thaqāfīyah. (Ṭ1). al-Qāhirah: Dār al-ʻAyn lil-Nashr.
al-Naqārī, ḥmmw. (2013). fī Manṭiq bwryāl. (Ṭ1). Bayrūt: Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah.

Biographical Statement

Dr Sultan Dakhellullah Hadram Aloufi is an Associate Professor of Rhetoric and Criticism in the Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Taibah University. Dr Sultan Aloufi received his PhD degree in 1440() from Umm Al- Qura University. His research interests include Rhetoric and Speech Analysis

معلومات عن الباحث

د.سلطان دخيل الله حضرم العوفي، أستاذ البلاغة والنقد المشارك، تخصص البلاغة والنقد، في قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة طيبة، (السعودية). حاصل على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من جامعة أم القرى عام.1440هـ، تدور اهتماماته البحثية حول قضايا البلاغة وتحليل الخطاب.

Email: sdoufi@taibahu.edu.sa